مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد
الخامس عشر
1998

1428 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1998 أفرنجي

الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية

الدكتور: عمر التومي الشيباني

المقدمة

إن التنمية العربية الشاملة لا يمكن أن تتحقق إلاّ إذا تحققت تنمية جميع جوانب الحياة في المجتمع العربي التي يأتي في مقدمتها الجانب الثقافي والجانب الروحي، والجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي، والجانب السياسي. وهي جوانب متفاعلة ومترابطة ومتداخلة فيما بينها، وبينها تأثير متبادل، بحيث لا يتحقق تنمية أحدها منعزلاً عن تنمية الجوانب الأخرى، فتنمية الجانب الثقافي في حياة المجتمع أو التنمية الثقافية في المجتمع ـ مثلاً ـ لا يمكن أن تتحقق بصورة فعالة إلاّ إذا صاحبتها وواكبتها تنمية روحية واجتماعية

واقتصادية وسياسية. وهكذا يمكن القول بالنسبة لتنمية بقية الجوانب الأخرى في حياة المجتمع، أَو لبقية أنواع التنمية. وفي أي نوع من أنواع التنمية لا بد أن يتوافر في تنميته البعد المادي الكمي والبعد النوعي المعنوي أَو الروحي، وحتى التنمية الاقتصادية التي يغلب عليها ـ فيما يبدو لكثير من الناس ـ البعد أَو الجانب المادي، لا يمكن أن تتم بمعزل عن تنمية الجوانب والمظاهر المعنوية والروحية في المجتمع، وبخاصة في مجتمع يؤمن بالدِّين وبالقِيَم الدينية مثل المجتمع العربي المسلم الذي لا يمكن لأي جانب أَو نوع من أنواع تنميته أن تتم تنميته بمعزل عن مبادىء وقِيَم وتعاليم دينه الإسلامي، وعما تحتويه ثقافته من قِيَم وتقاليد أصيلة.

وإذا كان جميع جوانب وأنواع تنمية المجتمع العربي متفاعلة ومترابطة ومتداخلة فيما بينها، وبينها تأثير متبادل، وإذا كانت التنمية الحقيقية للمجتمع العربي لا بد أن تكون شاملة ومتوازنة ومترابطة ومتكاملة فيما بينها، وإذا كان كل نوع من أنواع التنمية لا بد أن تتكامل فيه الجوانب والعناصر المادية والروحية، وإذا كان كل نوع من أنواع التنمية له ماض وحاضر ومستقبل، وكل منها في حاجة إِلى إعداد تربوي وروحي مادي، فإن ما يهمنا في هذا البحث من أنواع تنمية المجتمع العربي هي التنمية الثقافية المستقبلية، وما تتطلبه هذه التنمية من إعداد تربوي وروحي لمن سيقومون بأعبائها ومسؤولياتها.

وسيقتصر حديثنا ونقاشنا لموضوع بحثنا (**الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل**) على بيان وشرح ومناقشة النقاط الأربع الرئيسة التالية:

1 ـ مفهوم الثقافة وخصائصها العامة.

2 ـ أهمية الثقافة وأهمية تنميتها في الوطن العربي، وسُبل تنميتها والنهوض بها.

3 ـ الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية من حيث مفهومه وخصائصه وأهميته.

4 ـ الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية، وسُبل ووسائل تحقيق أهداف هذا الإعداد.

هذه هي أهم النقاط التي تدخل في الموضوع الذي اخترناه لهذا البحث أَو هذه الورقة البحثية، التي سنقوم بتوضيحها وشرحها ومناقشتها في إيجاز في الصفحات التالية من هذا البحث أو هذه الورقة البحثية.

1 ـ مفهوم الثقافة وخصائصها العامة:

أ ـ مفهوم الثقافة:

فبالنسبة للنقطة الأولى، فإن أول جانب من جوانبها هو تحديد مفهوم أَو معنى الثقافة. وهو أمر مختلف فيه بين العلماء والباحثين والكتّاب في مجال الثقافة والتنمية الثقافية. وقد نتج عن جهود هؤلاء العلماء والباحثين والكتّاب لتحديد مفهوم الثقافة كثير من التعريفات والتفسيرات للثقافة، يركز بعضها على المعنى اللغوي للثقافة، ويركز بعض آخر منها على المعنى الأنثروبولوجي والاجتماعي للثقافة، ويركز نوع ثالث منها على المعنى الفكري والعقلي والمعرفي.

1 ـ فالثقافة تعني في اللغة العربية: التهذيب، والتقويم، والتسوية. كما تعني الفطنة والذكاء، والحذق وسرعة التعلّم. فقد وردت في «القاموس المحيط» للفيروزآبادي كلمة: «ثقف ككرم وفرح، وثقف ثقفا وثقافة صار حاذقاً خفيفاً فطناً» وورد في لسان العرب لابن المنظور ما يفيد أن «ثقف الشيء يعني سرعة تعلّمه وحذقه». «وغلام ثقف»، أي ذو فطنة وذكاء. وتثقيف الرمح يعني تسويته.

2 ـ وكلمة الثقافة عندما تستعمل في معناها العربي الاصطلاحي فإنّها كلمة مجازية مأخوذة من تثقيف الرمح أي تسويته، انتقل هذا المعنى الحسي إلى معان معنوية اصطلاحيّة كثيرة من بينها: ما يعنيه بالنسبة للفرد أن يكون متحلياً بالذكاء وسرعة التعلّم، والوعي بمشكلات وقضايا مجتمعه، والقدرة على التأثير في الآخرين بالأسلوب المناسب لهم، والتحلي

بالأخلاق الفاضلة والالتزام الخلقي. والشبه واضح بين المعنى الحسّي والمعاني المعنوية لكلمة الثقافة، فكلا النوعين فيه تهذيب وتقويم وتسوية، غير أن هذا التهذيب والتقويم والتسوية هو أمر حسي في المعنى الأصلي للكلمة، في حين أنه أمر معنوي في المعاني الاصطلاحية[1].

3 ـ وللمعنى الأنثروبولوجي لكلمة ثقافة استعمال واسع في كتب علوم الاجتماع والنفس والتربية. ومن تفسيرات الثقافة حسب هذا المعنى أنّها: كل ما صنعه وأنتجه يد الإنسان وعقله من أمور معنوية ومادية من خلال تفاعله مع الوسط الذي يعيش فيه وجهده البدني والعقلي، وذلك كاللغة والعادات والتقاليد وأنماط السلوك البدني والعقلي والوجداني السائدة لدى شعب من الشعوب أو في مجتمع من المجتمعات، وما يرتبط بذلك من أساليب معيشة وتربوية وقوانين وعلوم وآداب وفنون ونُظُم إدارية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ونظم وطرائق وأساليب زراعية وصناعية واتصالية، إلى غير ذلك من الأمور المعنوية والمادية التي تعدُّ من صنع الإنسان والتي تدخل في المفهوم الأنثروبولوجي والاجتماعي الواسع لكلمة «ثقافة». وهناك من العلماء من يقصر معنى «الثقافة» على الأمور المعنوية والفكرية. أما الأمور المادية المحسوسة التي صنعها الإنسان والتي تتمثل في المباني وطرق وشبكات الري والمواصلات والاتصالات والمصانع، وما إلى ذلك من الأمور المحسوسة والملموسة، فإنّها تدخل في مفهوم «الحضارة» لدى هذا البعض من العلماء الذي يفرّق بين معنى المصطلحين: **«الثقافة» و«الحضارة»**[2].

---

(1) ينظر كل من:

أ ـ أنور الجندي، أصول الثقافة العربية. القاهرة: دار المعرفة، 1971، ص21.

ب ـ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. بيروت: دار الفكر، 1971، ص19 ـ 21.

(2) ينظر كل من:

أ ـ عبد الله عبد الدايم، «التخطيط الشامل للثقافة العربية: مبادئه وأهدافه ووسائله» في الخطة الشاملة للثقافة العربية. ج3، الكويت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1986، ص53 ـ 94.

4 ـ وللثقافة في المعنى الاصطلاحي تفسيرات عديدة لا يتسع المقام لذكرها، فضلاً عن تحليلها ومناقشتها. وهي لا تنطلق من منطلق واحد، بل لها منطلقاتها المختلفة، ويتأثّر كل منها بتخصص ونزعة ووجهة نظر قائله.

والمفهوم الذي نلتزم به في بحثنا هذا بالنسبة لمصطلح **«الثقافة»** لا يقف عند تعريف أو تفسير واحد من التعريفات والتفسيرات الكثيرة التي ذكرت لهذا المصطلح، بل يحاول أن يكون انتقائياً وشمولياً بعض الشيء، يستفيد من جميع التعريفات والتفسيرات، مع التحيّز بعض الشيء إلى التفسيرات التي تنزع إلى المعاني الفكرية والأدبية والفنية التي أعطيت لمصطلح «الثقافة»، والتي نراها أكثر ملاءمة لموضوع بحثنا، والتي تظهر في الحركة الفكرية والأدبية والفنية العربية بجميع جوانبها ومظاهرها وآثارها المعنوية والمادية.

ومما يدخل في المعنى الانتقائي الذي اخترناه لمصطلح **«الثقافة»** المعارف والمعلومات والمفاهيم والخبرات والنظريات الفلسفية والعلمية والفنية، والنُّظم المختلفة للحياة والمناهج والطرائق والأساليب البحثية والتخطيطية، وأساليب التعامل مع الطبيعة ومع البيئة بأنواعها المختلفة، ومع الظواهر الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، والاجتهادات الفقهية واللغوية، وتفسيرات النصوص الدينية، وما إلى ذلك.

كما يدخل في هذا المعنى الأنواع الأدبية والفنية الإبداعية المختلفة من شعر ونثر أدبي وخطابة وقصة قصيرة ورواية ومسرحية وموسيقى وأدب شعبي وتراث ثقافي، وعادات وتقاليد اجتماعية، وأساليب وأنماط معيشية وحياتية ومعمارية، وأساليب رعاية وتنشئة وتربية للأجيال الناشئة، وأساليب وأنماط للعلاقات السائدة في المجتمع.

كذلك يدخل في هذا المعنى النواتج المعنوية والمادية للتفكير الفلسفي

= ب ـ فؤاد زكريا، «المبادىء الأساسية للتخطيط الثقافي من زاوية عربية» في الجزء السالف الذكر، ص95 ـ 124.

ج ـ عبد الله عبد الدايم، «أزمة الثقافة في الوطن العربي» مجلة الفكر العربي: السنة الأولى، العدد الثالث، 1978، ص4 ـ 9.

والنشاط العلمي والأدبي والفني والتقني والإعلامي والتشريعي، من كتب ومنشورات ومعارض ومتاحف ومسارح وتشريعات وقوانين، وما إلى ذلك من الأمور التي تدخل في المفهوم والمعنى الثقافي الشامل الذي نميل إليه بالنسبة لمصطلح «الثقافة»، على الأقل في معالجتنا ومناقشتنا لموضوع بحثنا هذا.

ب ـ الخصائص العامة للثقافة:

وفي ضوء التعريفات والتفسيرات الكثيرة التي ذكرت لمصطلح **«الثقافة»** والتي سبقت الإشارة إلى بعضها، يمكن أن نستخلص منها مجموعة من الخصائص العامة للثقافة، قد يكون من أهمها ما يلي:

1 ـ أن الثقافة في المجتمع العربي وفي غيره من المجتمعات الإنسانية، هي ذات طبيعة تراكمية، لا يكوّنها جيل واحد من أجيال المجتمع، بل هي نتاج لأجيال عديدة تعاقبت على الحياة في هذا المجتمع منذ أقدم تاريخه حتى عصره ووقته الحاضر، كل جيل من هذه الأجيال أسهم في ثقافة المجتمع بما سمحت به ظروفه وإمكاناته العقلية والمادية، متأثراً في إسهاماته بعوامل ذاتية داخلية تتمثل فيما يملكه أفراد المجتمع في أي عصر من العصور من استعدادات وإمكانات وقدرات جسمية وعقلية ووجدانية وراثية ومكتسبة، وفيما يتوافر في مجتمعهم من إمكانات ومثيرات ومناشط أدبية وفنية واجتماعية، وبعوامل ومؤثرات خارجية قومية إقليمية وعالمية دولية.

2 ـ ومما يترتب على كون الثقافة ذات طبيعة تراكمية أنها لا تقف عند زمن معين من أزمنة حياة المجتمع، بل تستمر وتتواصل في الأزمنة الثلاثة من تاريخه وحياته. فهي كما تعبِّر عن ماضيه المشترك وحاضره المعيش تعبر أيضاً وتشير إلى مستقبله المأمول.

ومما يترتب على تراكمية الثقافة أيضاً أنها قابلة للانتقال من جيل إلى آخر. ومن شأن هذا الانتقال أن يساعد كل جيل على فهم أفكار ونواتج ثقافة الأجيال السابقة عليه، وألا يضطره إلى البدء من جديد. ومما يساعد على

انتقال الثقافة من جيل إلى آخر تداخل أعمار أفراد المجتمع، بحيث لا يموت جيل إلاّ ويكون هناك جيل آخر في دور التكوين، وجيل ثالث في دور التنشئة الأولى.

وبهذه الخاصية تستمر الثقافة وتبقى على الرغم من موت الأفراد الذين أسهموا في بنائها وتكوينها. ومن أهم وأبرز سبل ووسائل نقل الثقافة التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية.

3 ـ أن الثقافة في نمو مستمر وتغير دائم. وقد يكون التغير الثقافي في بداية أمره محدوداً وسطحياً، ولكن التغيرات الثقافية والمستجدات الثقافية لا تلبث أن تتدعم وتتجذر وتندمج في عناصر الثقافة الأخرى المستقرة في المجتمع، إذا أثبتت هذه التغيرات والمستجدات الثقافية قدرتها على إشباع حاجات الأفراد والجماعات في المجتمع، وتفوقها على التغيرات والعناصر والمتغيرات الثقافية القديمة. وكون الثقافة في تغير مستمر لا ينافي أن هذا التغير لا يسير بمعدلات واحدة في جوانب وعناصر الثقافة المادية والمعنوية المختلفة. ويشمل هذا التغير الثقافي ثلاث عمليات أساسية، هي:

عملية التأصيل، وعملية الانتشار، وعملية إعادة التفسير. وتعني عملية التأصيل اكتشاف أو اختراع عناصر أصيلة في الثقافة، وتعني عملية الانتشار استعارة عناصر جديدة من ثقافات أخرى، والعمل على توطينها ودمجها في الثقافة الوطنية والقومية، وتعني عملية إعادة تفسير الثقافة فيما تعني تحوير العناصر الثقافية القائمة بما يجعلها قادرة على مواجهة الظروف والمتغيرات الجديدة[3].

4 ـ أن الثقافة ظاهرة إنسانية واجتماعية في آن واحد. فهي من ناحية ظاهرة إنسانية يختص ويتفرد بها الإنسان عن بقية أنواع الحيوان، ليعبر من خلالها عن إنسانيته وخصائصه الإنسانية، ويحدد هويته وذاتيته وشخصيته الثقافية الوطنية والقومية والإنسانية، ويشبع حاجاته الأساسية، ويبني علاقاته مع

(3) ينظر: محمّد منير مرسي. أصول التربية الثقافية والفلسفة. القاهرة: عالم الكتب 1977، ص91، 92، 102، 103، 115، 116.

غيره من بني الإنسان ومع الطبيعة المحيطة به، ويحقق تواصله واتصاله مع الثقافات الإنسانية الأخرى. وهي من ناحية أخرى ظاهرة اجتماعية، يصنعها المجتمع بمختلف أفراده وفئاته وجماعاته ولا يصنعها الفرد بمفرده. وهي نتاج لحياة اجتماعية وعمل اجتماعي وما يرتبط بذلك من عمليات اجتماعية كثيرة كالتفاعل الاجتماعي، والتعاون أو التنافس، والتضامن، وما إلى ذلك من العمليات الاجتماعية والسلوك المشترك، والعمل المشترك لجميع أفراد المجتمع الواحد أو الشعب الواحد أو الأمة الواحدة.

5 ـ أن الثقافة ذات طبيعة رمزية، وهي متعلمة ومكتسبة. ولرمزية الثقافة كان من اليسير انتقالها من إنسان إلى إنسان آخر.

ومعلوم أنه من خصائص الإنسان قدرته على استخدام الرموز، واتخاذه من إدراك وفهم هذه الرموز أساساً لفهم وإدراك ثقافة مجتمعه وأمته. ومن ثم يصح القول بأن الإنسان هو مخلوق يستعمل الرموز، وبأن السلوك الإنساني هو سلوك رمزي.

والثقافة بعد هذا هي سلوك متعلّم ومكتسب وليس سلوكاً موروثاً، يتعلّمها ويكتسبها الإنسان من خلال ما يتعرض له من تنشئة اجتماعية وتربية وتعليم، وتدريب، وتوجيه، وتفاعل اجتماعي، وما إلى ذلك من عمليات وجهود تغيير وتعديل سلوك الإنسان، ومساعدته على اكتساب معارفه ومهاراته واتجاهاته، واكتساب ثقافة مجتمعه، وما يندرج تحت هذه الثقافة من قِيَم وعادات وتقاليد وأساليب معيشة وتعامل مع الآخرين.

إلى غير ذلك من الخصائص العامة للثقافة التي يمكن استخلاصها من تعريفاتها وتفسيراتها المختلفة[4].

---

(4) ينظر: محمّد لبيب النجيحي، التربية: أصولها ونظرياتها العلمية. (ط5)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1974، ص126، 145، 146، 152، 153.
كما ينظر كتابنا: دور التربية في الوحدة العربية. (من سلسلة كتاب الشعب رقم 8).
الجماهيرية: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، 1981، ص13 ـ 66.

2 ـ أهمية الثقافة وأهمية تنميتها في الوطن العربي وسُبل تنميتها والنهوض بها:

أ ـ وأياً كان مفهوم الثقافة، وأياً كانت الخصائص العامة لهذه الثقافة، فإن الثقافة ذات أهمية بالغة بالنسبة للفرد والمجتمع العربيين على حد سواء.

1 ـ فهي بالنسبة للفرد تمكنه من اكتساب مقومات شخصيته الإنسانية، واكتساب قِيَم واتجاهات وعادات وتقاليد ولغة وأنماط وأساليب حياة مجتمعه، وتحقيق ذاته وهويته الوطنية والقومية وتحقيق أمانيه وتطلعاته في الحياة، وإشباع حاجاته الأساسية، واكتساب قدرته على التفكير والإبداع والاختيار من بين البدائل المختلفة المتاحة له، وعلى التعلّم وعلى التكيف مع من حوله وما حوله، وعلى تطوير حياته وتطوير الحياة من حوله، وذلك من خلال تفاعله الإيجابي معها واستفادته مما يهيأ ويتوافر له فيها من خدمات وجهود ومناشط تربوية وتعليمية وتدريبية وإرشادية وتوجيهية وتنشئة اجتماعية ورعاية شاملة.

2 ـ والثقافة بالنسبة للمجتمع والأمة، تعدُّ الصورة المميزة للمجتمع والأمة، المحددة لهويتهما وملامحهما، المميزة والمعبرة عن طموحاتهما وتطلعاتهما المستقبلية، وأصالتهما المتجددة، والأداة لتأكيد هويتهما المتميزة، وتحقيق وتدعيم وحدتهما المرغوبة.

ب ـ ويلزم من التسليم بأهمية الثقافة بالنسبة للفرد والمجتمع العربيين التسليم أيضاً بأهمية تنمية الثقافة العربية، بما يجعلها في مستوى الآمال المعقودة عليها بالنسبة للفرد والمجتمع. ويقصد بالتنمية الثقافية مجموعة الجهود التي يبذلها أفراد وفئات وجماعات المجتمع في سبيل تطوير الثقافة وتجديدها والتقدّم والنهوض بها كماً ونوعاً في جميع مظاهرها وجوانبها وفروعها، وتخليصها من كل رواسب وشوائب ومظاهر الضعف التي علقت بها خلال فترات الضعف والتخلّف التي مرّت بها المجتمعات العربية والأمة العربية، التي لا يزال بعضها باقياً إلى وقتنا الحاضر، وذلك لتكون الثقافة العربية قادرة على الانسجام مع قِيَم الماضي الأصيلة، وعلى

تلبية احتياجات الحاضر واحتياجات ومتطلبات المستقبل، وعلى مواكبة التغيرات والتطورات التي تحدث في الجوانب الأخرى للحياة من جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها، وعلى مسايرة الحركة الثقافية العالمية، وعلى الإسهام فيها بإيجابية وفاعلية.

ج ـ ومن أهم الجوانب التي يجب أن تهتم بها جهود التنمية الثقافية العربية هو تخليص الثقافة العربية من مظاهر الضعف والنقص الكثيرة التي لا تزال موجودة فيها، أَو على الأقل التخفيف منها.

ومن مظاهر الضعف والنقص هذه تمكن الإشارة الموجزة إِلى ما يلي:

1 ـ الركود النسبي في الثقافة العربية، ليس فقط بالنسبة للثقافة في البلدان المتقدمة علمياً واقتصادياً، بل أيضاً بالنسبة إِلى ما كانت عليه الثقافة العربية نفسها إبان ازدهارها وإشعاعها في ماضيها البعيد. ومن أسباب هذا الركود: ضعف الحرية الفكرية والثقافية، وحرية التعبير للأفراد في المجتمع العربي، وبخاصة من لهم القدرة على الإسهام في تنشيط الحركة الثقافية، وتنمية الثقافة العربية من علماء وأدباء وكتّاب وفنانين وغيرهم، والركون إِلى الماضي والوقوف عنده، وإعطاء ما يرتبط به من تراث وما تم فيه من تفسيرات وتجارب وممارسات شيئاً من القدسية والتقدير المبالغ فيه، وذلك بسبب ضعف حاضر العرب وماضيهم القريب، بحيث لم يبق لهم شيء يعتزّون به ويحتمون به، ويتخذون منه ملجأ ومهرباً من حاضرهم المتخلف، ويسقطونه على حاضرهم وربما على مستقبلهم أيضاً، ويتبنون تفسيراته وحلوله ـ مع أنّها لا تتفق مع روح العصر الذي يعيشون فيه في حاضرهم ـ إِلاّ ماضيهم البعيد الذي ازدهرت فيه ثقافتهم وحضارتهم.

2 ـ ومن مظاهر الضعف والنقص أيضاً في الثقافة العربية الحاضرة: فصل العقل عن النقل في كثير من المسائل والقضايا والوقائع الدينية واللغوية، وقفل باب الاجتهاد ليس فقط في المسائل والأحكام الفقهية والقواعد اللغوية، بل في جميع جوانب الفكر والحياة، مع أنّه لا يوجد في نصوص الدين الصريحة ما يمنع من الاجتهاد الفقهي واللغوي لمن هو مؤهّل له وقادر

عليه، وعدم التمييز بين ثوابت الدِّين المتعلّقة بأصول العقيدة والشريعة، والقواعد الخلقية الأساسية، وبين الأحكام المستنبطة من نصوص الدين للمعاملات والوقائع والأحداث المتجددة في الحياة، وعدم التفرقة والتمييز أيضاً بين نصوص الوحي الإلهي ونصوص السنّة النبوية المطهرة المتواترة التي ثبتت صحتها وسلامتها متناً وسنداً، وبين علوم القرآن وعلوم الحديث وما تتضمنه من اجتهادات وتفسيرات، ومواقف بشرية فردية تمّت في ظروف تاريخية معينة، وفي ضوء ما توافر لأصحابها من معطيات ووسائل وأدوات وإمكانات بحثية. وهي قابلة للتغيير والتعديل بتغير الزمان والمكان والظروف، واختلاف احتياجات الحياة ومطالبها، وليست ملزمة للأجيال اللاحقة لجيل القائلين بها. ومعلوم لدى علماء تفسير القرآن الكريم أن القرآن في مجال المعاملات بالذات «قطعي النصّ وظني الدلالة» وبسبب ظنية دلالته، فإن الآية فيه تحتمل أكثر من تفسير واحد.

3 ـ كذلك من مظاهر الضعف في الثقافة العربية وفي جهود وعمليات تنميتها الحاضرة: أنها تركز على العلوم والفنون الإنسانية واللغويّة والنظرية، ولا تعطي الاهتمام الكافي للعلوم والفنون العملية والتطبيقية، كما أن تنميتها لا تعطي الاهتمام الكافي، ولا تعطي الفرص المتكافئة مع ما يعطى لتنمية القطاعات والجوانب الأخرى في حياة المجتمع، ولا تربط سياساتها واستراتيجياتها وخططها بسياسات واستراتيجات وخطط تنمية القطاعات والجوانب الأخرى في حياة المجتمع، حتى يتحقق بذلك مبادىء الشمول والتوازن والترابط والتكامل في التنمية العربية. إلى غير ذلك من مظاهر الضعف والنقص في الثقافة العربية، وفي جهود تنميتها التي ينبغي مواجهتها والتخلّص منها، أو على الأقل التخفيف منها. واتخاذ كل السُّبل والوسائل الممكنة للنهوض بالثقافة العربية وتنميتها بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات ومتطلبات المستقبل[5].

---

(5) ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية (المجلد الأول)، الكويت: 1986، ص89، 90، 102.

د ـ سبل ووسائل النهوض بالثقافة العربية:

ومن سبل ووسائل النهوض بالثقافة العربية وتنميتها والوصول بها إلى المستوى الذي يمكنها من مواجهة وتلبية احتياجات ومتطلبات المستقبل العربي الإشارة الموجزة إلى ما يلي:

1 ـ ربطها بنظم التربية والتعليم وبقِيَم ومبادىء وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في المجتمع العربي المسلم، وجعل الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية من السُبل والخطوات الأساسية لتنمية الثقافة العربية وتدعيمها والنهوض بها.

2 ـ التخطيط العلمي الشامل المتوازن المتكامل الواقعي لتنمية الثقافة العربية على المستوى القطري والقومي، بحيث يشمل هذا التخطيط تنمية جميع فروع الثقافة العربية من: تراث عربي مكتوب، وعادات وتقاليد وقِيَم اجتماعية، وأدب بجميع أجناسه وأنواعه، وفنون بجميع أنواعها، وتنمية وتطوير ثقافة جميع فئات المجتمع والشعب العربيين من أطفال وشباب وراشدين: رجال ونساء، أميين ومتعلمين، موهوبين وعاديين في إمكاناتهم وقدراتهم، أسوياء ومعاقين، وحضريين وريفيين، وفلاحين ومنتجين صناعيين، إلى غير ذلك من فئات المجتمع والشعب، وبحيث يتسم التخطيط لتنمية جميع أجناس وأنواع وفروع الثقافة العربية، وتنمية ثقافة جميع فئات المجتمع العربي بالتوازن في اهتمامه، وبالترابط والتناسق والتكامل، وبالواقعية والمرونة ووضوح الأهداف والنظرة المستقبلية، وترجمة الأهداف إلى مشروعات وبرامج إنمائية ثقافية، وبحيث يبنى التخطيط لتنمية الثقافة العربية على قدر كاف من المعلومات والبيانات الصحيحة والدقيقة، ومن معطيات الدراسات والبحوث العلمية السليمة، وبخاصة الدراسات والبحوث الاستشراقية ذات العلاقة والاهتمام بالمستقبل الثقافي العربي أو بثقافة المستقبل العربية.

3 ـ نقل الثقافة وجهود تنميتها في الوطن العربي من مراكز الاهتمام الثانوية إلى مراكز الاهتمام الأولى، لأهميتها البالغة كما قدمنا، وجعل خطط

ومشروعات وبرامج تنميتها جزءاً لا يتجزأ من خطط ومشروعات وبرامج التنمية العربية الشاملة، والاهتمام بفتحها على الثقافات الإنسانية الأخرى، وبتوثيق صلاتها، وزيادة تفاعلها مع هذه الثقافات، ونشر إبداعاتها وعطاءاتها وناتجها خارج الوطن العربي، وجعلها تحافظ على أصالتها وعلاقتها الوثيقة بالتراث العربي الأصيل، وفي الوقت نفسه تستجيب لمقتضيات ومتطلبات واحتياجات عصرها، وتستوعب معطياته وإنجازاته وخصائصه الإيجابية التي من بينها: أنه عصر العلم والتفجر المعرفي والتقدم التقني، والتكتل السياسي، والتكامل الاقتصادي، وما إلى ذلك.

4 ـ تحقيق ديمقراطية الثقافة في الوطن العربي بما يكفل شيوعها وانتشارها بين جميع المواطنين، ويضمن مشاركة جميع أفراد وفئات المجتمع ومؤسساته في إنتاجها وبنائها وتنميتها وتطويرها وتحسينها المستمر.

5 ـ حماية الحريات العامة في المجتمعات العربية، بما في ذلك حرية التفكير والتعبير والبحث العلمي والإنتاج الثقافي والأدبي والفني والإبداع العلمي والتقني والأدبي والفنّي، وتوفير ما يتطلبه الإنتاج والإبداع الثقافي والعلمي والتقني والأدبي والفني من مناخ نفسي واجتماعي ومادي ملائم، ومن إمكانات بشرية ومادية ضرورية، ومن تشجيع مادي ومعنوي.

6 ـ العناية باللغة العربية، لكونها لغة القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، واللغة التي كتب بها معظم التراث العربي والإسلامي المكتوب، ووعاء الثقافة العربية، وأداة المثقف العربي في اكتساب معارفه وتعبيره وتفكيره، وأداة تفاعل وتواصل أفراد المجتمع العربي وجماعاته، وأداة سيادة الثقافة العربية في الوطن العربي، حيث إن سيادة الثقافة العربية لا تتحقق إلاّ بسيادة اللغة العربية.

7 ـ التقويم العلمي والموضوعي الشامل للثقافة العربية في وضعها الراهن، بقصد تعرُّف نقاط القوة والضعف فيها بجميع مجالاتها وجوانبها وفروعها وأبعادها، ورسم سياسة وخطة شاملة ومتوازنة ومتكاملة في ضوء معطيات

تقويمها للنهوض بها وتطويرها وتحسينها، بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات ومتطلبات الحاضر والمستقبل المنظور.

3 ـ الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية:

ولتستطيع الثقافة العربية تحقيق نموها المستقبلي المنشود وتحقيق الغايات المرجوة من تنميتها المستقبلية، لا بد من ربطها بعملية التربية والتعليم وجعل الإعداد التربوي والروحي أحد جوانب وأنواع الإعداد الرئيسة لها، لجعلها في مستوى تحديات المستقبل ومتطلباته.

والحديث عن الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية يقتضي بيان ومناقشة مجموعة من المفاهيم والنقاط، قد يكون من أهمها: مفهوم التربية والتعليم والعلاقة بينهما، ومفهوم الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية، وأهمية هذا الإعداد لثقافة المستقبل العربية، وخصائص الإعداد التربوي والروحي الجيد لثقافة المستقبل العربية، والأهداف العامة المرغوبة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية، والخصائص والصفات التي ينبغي أن تتحلى بها ثقافة المستقبل العربية التي ينبغي أن يستهدف بناءها الإعداد التربوي والروحي في الوطن العربي، وسبل ووسائل تحقيق أهداف الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية ولبناء ثقافة المستقبل العربية المنشودة.

هذه هي أهم المفاهيم والنقاط التي سنحاول بيانها ونقاشها بإيجاز في هذه الفقرة وفي الفقرة التالية لها من هذا البحث.

أ ـ مفهوم التربية والتعليم والعلاقة بينهما:

فبالنسبة لكلمة التربية، فإننا نقصد بها في معناها الاصطلاحي الواسع: «جميع الجهود التي يبذلها المجتمع بجميع أفراده وجماعاته ومؤسساته وأجهزته لإحداث التغيرات المرغوبة في سلوك أفراده وأساليب حياته».

وهذه الجهود ليست قاصرة على جهود التربية المقصودة والتعليم المنظّم الذي تقوم به مؤسسات التربية والتعليم التي أنشئت خصيصاً للقيام بهذا الدور والوفاء بهذا الغرض، بل تتعدى ذلك إلى الجهود التي تبذلها مؤسسات التربية

غير المقصودة التي لم تنشأ أساساً للتربية النظامية والتعليم المنظّم، ولكنها تسهم في تغيير سلوك الأفراد وفي أساليب حياة المجتمع في الاتجاه المرغوب، وفي تحقيق الأهداف التربوية المرغوبة، وذلك مثل: مؤسسات الإعلام الجماهيري من إذاعة مسموعة ومرئية، وصحافة ودور نشر وغيرها، والمكتبات العامة، والمسارح، ودور الخيالة، والمتاحف على اختلاف أنواعها، والمعارض الفنية، ومراكز رعاية الطفولة والشباب، والمنظمات الكشفية، ودور العبادة، وما إلى ذلك من مؤسسات التربية غير المقصودة التي يمكن أن تسهم في تربية الفرد والمجتمع، وتسهم بالتالي في الإعداد لثقافة المستقبل العربية.

والتربية بهذا المعنى الواسع يدخل فيها أو يتداخل معها العديد من العمليات، ليست عمليات: التنشئة الأسرية، والرعاية الشاملة لمختلف فئات المجتمع، والتعليم، والتدريب الفني والمهني، والوعظ الديني والتهذيب الخلقي، والإعلام والتوجيه والإرشاد، إلاّ بعض العمليات والمناشط التي تدخل في المعنى أو المفهوم الواسع للتربية والتي تستطيع ـ إذا ما توافر لها التخطيط والتوجيه السليمان ـ أن تسهم في تنمية الثقافة العربية وإعدادها لتلبية احتياجات ومتطلبات المستقبل ومواجهة تحدياته.

وأي عملية من هذه العمليات التي أشرنا إليها لا تعدو أن تكون جزءاً من عملية التربية ووسيلة من وسائل تحقيق أهدافها[6].

ب ـ مفهوم الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية:

ولتستطيع الثقافة العربية تلبية احتياجات ومتطلبات المستقبل وتحدياته، والوفاء بمقتضيات الأصالة والحداثة، لا بد لها من تخطيط سليم وإعداد تربوي وروحي جيد لمواجهة التغيرات والتطورات الثقافية المرتقبة في المستقبل.

1 ـ وعند الحديث عن الشق الأول من هذا الإعداد، وهو الإعداد التربوي، فإننا نقصد به: جميع الجهود التي يبذلها المجتمع العربي من خلال أفراده

(6) ينظر كتابنا: الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية. (الطبعة الثانية)، الجماهيرية: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام 1982، ص261 ـ 316.

وجماعاته ومؤسساته وأجهزته وتنظيماته المختلفة من أجل إحداث التغيير المرغوب الشامل والمتوازن والمتكامل في سلوك أفراده وفي أساليب وأنماط الحياة السائدة فيه، بما يجعل الجميع واعياً بخصائص ومكونات ومتطلبات ثقافة المستقبل العربية، وقادراً على الإسهام الفاعل في إنتاجها وتنميتها وتطويرها وتحسينها وتوجيهها، وعلى المشاركة الإيجابية في مناشطها وأحداثها ووقائعها، ومحباً وقابلاً لها ومنسجماً ومتكيفاً معها ومدركاً ومقدراً لقيمتها. وهذا يعني أن التغيير المرغوب الذي يستهدف الإعداد التربوي تحقيقه في سلوك وحياة الناس يجب أن يشمل معارف الناس ومفاهيمهم وأفكارهم وقدراتهم ومهاراتهم وأساليب أدائهم لنشاطهم وأعمالهم في الحياة، واتجاهاتهم وميولهم وأذواقهم وقِيَمهم وعاداتهم وتقاليدهم في الحياة، ليجعلها ملائمة وملبية لمتطلبات ثقافة المستقبل العربية التي ستكون مختلفة بكل تأكيد عن الثقافة العربية في الماضي والحاضر. ولكن على الرغم من إيماننا بأن ثقافة المستقبل العربية ستكون مختلفة في خصائصها وصفاتها عن الثقافة العربية في الماضي والحاضر، فإنه ليس لدينا معرفة مؤكّدة ومفصّلة عن صورة ثقافة المستقبل العربية، لأن مثل هذه المعرفة يحتاج الحصول عليها إلى دراسات وبحوث استشرافية عديدة تمتاز بدقّتها وملاءمتها لظروف الوطن العربي، وشمولها لجميع جوانب وفروع الثقافة العربية، وعدم تأثّر معطياتها بمعطيات دراسات الاستشراف لمستقبل الثقافة الغربية، لاختلاف الثقافتين في ماضيهما وجذورهما وأصولهما التراثية والدينية، وفي مستويات نموهما، ودرجات تطورهما وتعقدهما وتنوعهما في الوقت الحاضر.

2 ـ وبالنسبة للإعداد الروحي لثقافة المستقبل العربية، فإنه يدخل ـ في نظرنا ـ ضمن الإعداد التربوي لمستقبل هذه الثقافة، ولا يخرج عنه بأي حال من الأحوال. ونستطيع القول على سبيل الجزم واليقين أن الإعداد الروحي لثقافة المستقبل العربية هو جزء لا يتجزأ ومظهر من مظاهر الإعداد التربوي لهذه الثقافة، وأن علاقة الإعداد الروحي بالإعداد التربوي لثقافة المستقبل

العربية هي نوع من علاقة الجزء بالكل وعلاقة الخاص بالعام. فالإعداد التربوي لثقافة المستقبل العربية يشمل في مفهومه الواسع جميع أنواع الإعداد العقلي والوجداني والروحي والخلقي والاجتماعي لهذه الثقافة، ويدخل فيه جميع الجهود الفردية والجماعية التي تبذل من أجل إحداث التغييرات المرغوبة في معارف ومعلومات ومفاهيم وخبرات واتجاهات ومواقف وقِيَم وعادات وتقاليد وأساليب وأنماط حياة الناس أفراداً وجماعات، بما يدعم دورهم الثقافي ويزيد من مشاركتهم الإيجابية في تنمية وتطوير وتحسين ثقافتهم العربية.

ووجه الخصوصية في الإعداد الروحي لثقافة المستقبل العربية أنه يركّز على البعد الروحي في شخصية الأمة، ويعطي اهتماماً خاصاً لتأكيد الأصالة الروحية والدينية للثقافة العربية وللتربية الدينية والخلقية والتوجيه الديني والخلقي في مناهج وبرامج التربية والتعليم التي تهيِّىء لها مؤسسات التربية والتعليم في الوطن العربي.

وفي ضوء هذه المقدمة المبسطة الموجزة نستطيع تعريف، أو بالأحرى تفسير، الإعداد الروحي لثقافة المستقبل العربية بأنه: «بذل كلّ الجهود الممكنة وتهيئة جميع الظروف والإمكانات المتاحة، من أجل تكوين أجيال عربية صالحة وبناء أفراد مؤمنين بربّهم وبعقائد دينهم الأخرى، وملتزمين بمبادىء وقِيَم وتعاليم وتوجيهات دينهم في كلّ جوانب حياتهم، بما في ذلك حياتهم الثقافية، وملمين بقضايا ومشكلات وتوجهات ثقافتهم العربية الإسلامية والثقافة العالمية، وقادرين على الإنتاج والمشاركة الفعالة في ثقافتهم العربية، بما يدعم أصالتها الدينية والروحية وانسجامها مع مبادىء وقِيَم وتعاليم الدين وتوجيهاته».

جـ ـ أهمية الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية:

وأياً كان مستقبل الثقافة العربية، وأياً كان مقدار ودرجة التطور والتعقيد اللذين سيطرآن عليها في المستقبل، فإنه لا بد من الإعداد التربوي والروحي المناسب لمواجهة تحديات هذا المستقبل والوفاء بمتطلباته واحتياجاته، لأن هذا الإعداد إذا كان جيداً من شأنه أن يساعد أفراد المجتمع العربي وجماعاته أن

يتكيّفوا ويندمجوا مع ثقافة مجتمعهم العربي المستقبلية، وأن يكتسبوا ما يتطلبه هذا التكيّف والاندماج، وما تتطلبه مشاركتهم الإيجابية في تنمية وتطوير وتحسين ثقافة المستقبل لمجتمعهم العربي، من معارف ومفاهيم وخبرات ومهارات وقِيَم واتجاهات وميول علمية وثقافية وأدبية وفنية ودينية، وأن يكون هناك توازن في إعدادهم العقلي والوجداني والروحي لثقافة المستقبل لمجتمعهم العربي.

د ـ خصائص الإعداد التربوي والروحي الجيد لثقافة المستقبل العربية:

وإذا كان الإعداد التربوي والروحي أمراً ضرورياً وهاماً لثقافة المستقبل العربية، ولتنمية وتطوير وتحسين هذه الثقافة بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات ومتطلبات المستقبل، فإنه ليس أي إعداد قادر على القيام بهذا الدور الهام والخطير، بل هو إعداد من نوع خاص تتوافر فيه خصائص ومقومات وشروط معينة تؤكّد جودته وفعاليته. لعلّ من أهم هذه الخصائص والمقومات والشروط ما يلي:

1 ـ أن يتحقق نشر التعليم النظامي وتعمّم فرصه بين الأجيال الناشئة وجميع المواطنين العرب، بحيث يستطيع كل طفل وشاب ومواطن عربي راغب في التربية الحصول على فرصة تعليمية مناسبة لسنه واستعداداته وقدراته وإمكاناته العقلية وميوله ورغباته وظروفه الاجتماعية والاقتصادية.

2 ـ أن يتوافر في النظام التعليمي المطبق في المجتمع العربي التشجيع الكافي على التعلّم الذاتي والقراءة والتعليم المستمر مدى الحياة، وتوفير فرص هذا التعليم وتيسير سبله.

3 ـ أن يكون التعليم الأساسي الذي يستهدف الإعداد للمواطنة العربية العامة عاماً لا تمييز فيه بين تعليم فئة من الناشئين وتعليم فئة أخرى منهم، ولا بين تعليم أطفال طبقة اجتماعية واقتصادية وتعليم أطفال طبقة أخرى، بحيث لا يكون ـ مثلاً ـ تعليم أساسي لأبناء المدن والمراكز الحضرية وآخر لأبناء الريف والمناطق الصحراوية، ولا تعليم لأبناء الأغنياء وآخر لأبناء الفقراء. كذلك ينبغي أن يخلو التعليم العربي في مرحلة التعليم الأساسي من

الازدواجية، والفصل بين التعليم المدني والتعليم الديني.

4 ـ أن تربط سياسات واستراتيجيات وخطط ومشروعات وبرامج تنمية وتطوير وتحسين التعليم العربي بسياسات واستراتيجيات وخطط ومشروعات وبرامج تنمية الثقافة العربية وتطويرها وتحسينها، لأن الثقافة العربية قطاع من القطاعات الرئيسة للتنمية العربية، ولأنّ التنمية الثقافية العربية جزء لا يتجزأ من التنمية العربية الشاملة. وأن تربط أهداف ومناهج وبرامج التعليم العربي أيضاً ومناشطه الصفية وغير الصفية، ونشاط البحث العلمي في مؤسسات التعليم الجامعي والعالي العربي، بالثقافة العربية وبقضاياها ومشكلاتها وأهداف تنميتها.

5 ـ أن يكون هدف تنمية الثقافة العربية وتطويرها وتنشيطها وتجديدها باستمرار، وهدف مساعدة المتعلمين العرب في جميع أنواع التعليم العربي وجميع مراحله، بما في ذلك التعليم الثانوي الفني والتقني، والتعليم الجامعي والعالي العلمي والهندسي على توسيع وتنمية ثقافتهم العامة من الأهداف العامة، الرئيسة للتعليم العربي ولمناهج وبرامج هذا التعليم بجميع أنواعه ومراحله[7].

6 ـ أن يدعم التعليم الفني والتربية الفنية في نظم التعليم العربية، لكون التربية الفنية والتعليم الفني من «أهم عوامل تنمية الخيال المبدع اللازم للثقافة والعلم والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية والإدارية... وتكوين «الذكاء المباعد» المخالف للمألوف والساعي إلى المبادرة والمفتق للرؤية المتعددة الأبعاد... إن التربية الفكرية المعرفية لا يمكن أن تكون حقيقية وفعلية إذا ما عزلت عن جوانب التربية الأخرى التي تأتي على رأسها التربية الفنية. فالشخصية الإنسانية تعمل كالعقد المنظوم، ولا سبيل إلى تنمية أحد مقوماتها دون التفات إلى المقومات الأخرى...»[8].

---

(7) ينظر: حسن عثمان، الجامعة: مقوماتها، رسالتها، تنظيمها. الإسكندرية: كلية الزراعة، 1972، ص43 ـ 52.

(8) ينظر: عبد الله عبد الدايم «التخطيط الشامل للثقافة العربية: مبادئه وأهدافه ووسائله»، مرجع سابق، ضمن الصفحات التي سبقت الإشارة إليها.

7 ـ أن تجعل مؤسسات التعليم، على اختلاف أنواعها ومراحلها ومستوياتها وأماكنها، مراكز إشعاع ثقافي للمجتمعات العربية، ومراكز تثقيف عام وتوعية عامة وتربية مستديمة، من خلال فتح أبوابها في غير الأوقات الرسمية للتعليم الحر، ولدروس التقوية لمن يحتاج إليها، وللمذاكرة الموجهة، ولمزاولة النشاط الثقافي الحر، ولإلقاء المحاضرات الثقافية، ولإقامة الندوات، واللّقاءات الثقافية والعلمية، ولغير ذلك من المناشط.

8 ـ أن يُجعل التراث الإسلامي الأساس الذي تقوم عليه الهوية أَو الشخصية الثقافية للأمة العربية، والركن الأساسي في تكوين الثقافة العربية، وأساس أصالتها، والمميز لها عن بقية الثقافات العالمية الأخرى غير العربية الإسلامية.

9 ـ أن يؤكد في هذا الإعداد ضرورة الرجوع إلى الدِّين الإسلامي، وتأكيد دوره في جميع جوانب حياة المجتمع العربي، وأخذه في الحسبان عند التخطيط لأي مشروع أَو برنامج ثقافي، وعلى ضرورة التوفيق بينه وبين العقل، حيث إنه لا تعارض بين الدِّين والعقل السليم، فالعقل هو أساس فهم نصوص الدين، وأداة الاجتهاد الفقهي واستنباط الأحكام الفقهية من النصوص الشرعية، وأداة الدفاع عن العقائد الدينية والبرهنة على صحتها.

10ـ أن يؤكد في هذا الإعداد أيضاً الاهتمام باللغة العربية، لعلاقتها الوثيقة بالدين الإسلامي والفكر الإسلامي، حيث إنها ـ كما سبقت لنا الإشارة إلى ذلك ـ اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ودوّنت بها السنّة النبوية المطهرة، وألّف وكتب بها معظم التراث العربي والإسلامي المكتوب، والتي لا يقع الجزء الأساسي من الدين الإسلامي سليماً إلاّ إذا أدي بها، وذلك مثل عبادة الصلاة وقراءة القرآن الكريم تعبداً بكلماته، حيث إن ترجمة القرآن الكريم لا يمكن أن تكون القرآن الكريم نفسه المتعبد بكلماته[9].

(9) ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية. (المجلد الأول)، مرجع سابق، ص60، 74، 75، 83 ـ 87.

4 ـ الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية وسبل ووسائل تحقيق هذه الأهداف:

وفي ضوء ما سبق لنا بيانه ومناقشته من مفهوم الثقافة وخصائصها العامة وأهميتها وأهمية تنميتها، وسبل ووسائل النهوض بها، والإعداد التربوي والروحي لها من حيث مفهومه وأهميته وخصائصه ومقوماته وشروطه، نستطيع أن نحدّد بسهولة الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية، ونستخلص الخصائص والصفات العامة التي ينبغي أن تتحلى بها ثقافة المستقبل العربية التي يستهدف بناءها وتكوينها الإعداد التربوي والروحي لها في الوطن العربي، كما نستطيع أن نستخلص من كل ما تقدم أهم السُّبل والوسائل المناسبة لتحقيق أهداف الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية وتكوين ثقافة المستقبل العربية المنشودة. وفيما يلي ما أمكننا استخلاصه وتحديده من أهداف عامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل، ومن خصائص عامة لهذه الثقافة، ومن سبل ووسائل لتحقيق الأهداف المرغوبة لهذا الإعداد وتكوين ثقافة المستقبل العربية المنشودة.

أ ـ الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية:

ومن الأهداف العامة التي ينبغي للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية أن يسعى إلى تحقيقها تمكن الإشارة الموجزة إلى ما يلي:

1 ـ بناء جيل عربي واع بثقافة وتراث أمته العربية، ومحب لهما ومعتز بهما، وقادر على المشاركة الإيجابية في المحافظة على تراث أمته العربية، وفي إحياء الصالح والمفيد منه، وتنقيته من شوائب النقص والضعف التي لحقت به في فترات الضعف والتخلّف للأمة العربية، وفي إنتاج وتنمية وتطوير وتحسين الثقافة العربية، وفي التعريف بها خارج الوطن العربي من وجهة نظر عربية، وفي تفتيحها على الثقافات الإنسانية الأخرى وزيادة اتصالها بهذه الثقافات وزيادة تفاعلها معها، وقادر على الإسهام الفاعل والنشط في إعداد الثقافة العربية لمواجهة تحديات المستقبل وتطوراته وتلبية احتياجاته ومتطلباته. وذلك من خلال: ربط مناهج وبرامج التعليم العربي بالثقافة

العربية والتراث العربي الأصيل، وبإسهامات الأمة العربية العالية المستوى في الحركة العلمية والثقافية والفنية العالمية، مع الاهتمام بثقافة العصر الحديث وما ظهر فيه من تغيرات وتطورات سريعة في مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك المجال الثقافي. ومن خلال تطوير طرائق وأساليب ووسائل التدريس في مؤسسات التعليم العربية، بما يجعلها أكثر تشجيعاً للمتعلمين على المشاركة الإيجابية في العملية التعليمية، وفي النشاط العلمي والثقافي لمؤسساتهم التعليمية وفي مجتمعهم العربي، وعلى التعلّم الذاتي، وعلى التعبير عما يكمن في صدورهم من أفكار وآمال وطموحات، وعلى الإبداع والتفكير العلمي السليم، وعلى تجاوز العمليات العقلية الدنيا من إدراك حسي وحفظ آليّ وتعرّف وتذكر إلى عمليات عقلية أعلى مستوى منها، مثل التفكير المجرد والتحليل والتصنيف والمقارنة والاستنتاج والاستنباط والتعليل، وما إلى ذلك.

2 ـ اكتشاف ورعاية وتنمية استعدادات وميول وقدرات المتعلمين العرب العلمية والإبداعية والأدبية والفنية، وتهذيب أذواقهم الأدبية والفنية وإحساسهم الجمالي، وصقل وتصفية أرواحهم، وتنمية وتقوية عقيدتهم الدينية ووازعهم الديني والخلقي، وتهذيب أخلاقهم، وإعلاء دوافعهم وغرائزهم، والسمو بعواطفهم ومشاعرهم، وتفجير منابع القوة الخيّرة وحب الخير والجمال والحق في نفوسهم، وبعث الثقة في نفوسهم بتراثهم العربي الإسلامي وبثقافتهم العربية الإسلامية، وتحقيق التوازن المرغوب بين الجانب الروحي والمعنوي والجانب المادي في حياتهم، وبين إعدادهم لحياة دنيوية منتجة ناجحة وغنية بنشاطها الثقافي الأصيل والنافع، ولحياة أخروية آمنة بإذن الله، ووقايتهم من مختلف مظاهر الاستلاب الثقافي والغربة الفكرية والروحية، ومن الوقوع في براثن التشكيك في قيمة الثقافة العربية الإسلامية وتشويهها والتقليل من شأنها، ومن الوقوع في براثن الإنتاج الثقافي والأدبي والفنّي الهابط المستوى الذي يتنافى مع المبادىء والقِيَم والتعاليم الإسلامية، ومع معايير الخير والجمال في

الإسلام، وما إلى ذلك من جوانب هذا الهدف العام للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية.

وتحقيق هذا الهدف العام بجوانبه المختلفة يمكن أن يتحقق من خلال: التوجيه التربوي والثقافي والفني والديني السليم للمتعلمين العرب ولأفراد المجتمع العربي بعامة، وتدعيم التعليم الديني والخلقي في مناهج وبرامج التعليم العربي، والاختيار الجيد للنصوص الأدبية التي يدرسها الطلاب العرب، وتدريس هذه النصوص بما يحبّب الطلاب فيها ويساعدهم على إدراك وتذوّق مظاهر الجمال فيها، ويدفعهم إلى البحث عن نصوص أدبية جيدة أخرى، وإلى قراءتها قراءة فهم وتذوّق. ومن خلال ما يوفر للطلاب من تربية موسيقية وفنية تشكيلية ودينية وخلقية وما يهيأ لهم من ممارسة ما يدرسونه ويوجهون إليه نظرياً، ومن خلال تشجيع الطلاب على تكوين النوادي والجمعيات المدرسية العلمية والأدبية والفنية والموسيقية، وتوفير ما يتطلبه نجاحها من توجيه وإمكانات بشرية ومادية.

3 ـ الإسهام في تأكيد قيمة التراث العربي الأصيل الذي يجده كل عربي داخل ذاته، وفي تأكيد الأصالة الثقافية العربية في إطار الواقع الاجتماعي ومطالب العصر الحديث ومطالب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الحاضرة ومطالب المستقبل المنظور الذي يمكن التنبؤ به، وفي تأكيد الشخصية والهوية الثقافية العربية التي يتحقق فيها التوازن بين الأصالة والحداثة، والمحافظة على هذه الشخصية والهوية وتحصينها من جميع مظاهر الاستلاب والتقليد الأعمى والتبعية والشعور بالضعف والعجز والدونية والهامشية والجمود والانكماش والركون كلية إلى الماضي والوقوف عنده على الرغم من تغير الظروف والأحوال. ويكون تحقيق هذا الهدف بجوانبه المختلفة من خلال: الإحياء الانتقائي للتراث العربي الصالح والمفيد في الحاضر والمستقبل، وتحقيق ما يوجد في هذا التراث من مخطوطات نافعة تبرز عبقرية العلماء العرب والمسلمين، وإسهاماتهم العلمية والفنية، وما توصلوا إليه من تفسيرات صائبة وأُسس ومبادىء لا

تزال تحتفظ بقيمتها حتى في الوقت الحاضر. ومن خلال تشجيع البحوث المسحية والتقويمية للتراث العربي والإسلامي والثقافة العربية الإسلامية بجميع جوانبهما العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية، لتعرّف واقع هذه الثقافة وذلك التراث، وتحديد ما فيهما من نقاط وجوانب القوة والضعف، وتحديد مدى ملاءمتهما لمتطلبات الحاضر والمستقبل، ووضع الأساس لخطة واستراتيجية عربية لإحياء الصالح والنافع من التراث العربي الثقافي، وتنقيته من مظاهر الضعف والنقص والتخلّف عن روح العصر التي لا تزال موجودة فيه، ولتنمية الثقافة العربية وتطويرها بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات ومتطلبات الحاضر والمستقبل. ومن خلال ربط فلسفة وأهداف ومناهج وبرامج التعليم العربي بمبادىء وقِيَم وإسهامات وإنجازات الثقافة العربية، من خلال تشجيع تحقيق المخطوطات العربية النافعة، وتشجيع التأليف في جميع العلوم والآداب والفنون النافعة، وتشجيع ترجمة الكتب والبحوث النافعة من اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية لإثراء الثقافة العربية، وتشجيع الإنتاج الثقافي والإبداع الفني والأدبي المنسجم مع روح الإسلام ومبادئه وقِيَمه ومعايير الخير والجمال فيه، ومع متطلبات الحاضر والمستقبل.

4 ـ الإسهام في تدعيم وتطوير اللغة العربية وحمايتها من كل تشويه واعتداء عليها، وذلك لكونها ـ كما أشرنا سابقاً في مكانين من هذا البحث ـ لغة القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، واللغة التي دوِّن بها معظم التراث العربي والإسلامي، ووعاء الثقافة العربية وأداتها التعبيرية، وأداة تلقي واكتساب المعارف العربية، وأداة التواصل بين حاضر وماضي الثقافة العربية، وأهم مقوم من مقومات القومية العربية والشخصية والهوية الثقافية العربية، وأهم دعامة للوحدة العربية.

وتدعيم اللغة العربية يكون من خلال جعلها لغة التعليم بجميع أنواعه وتخصصاته ومراحله، ولغة البحث العلمي بجميع أنواعه، ولغة الإدارة وجميع المعاملات في المجتمع العربي، كما يكون بتنمية وزيادة ما تحتويه من

اصطلاحات علمية وتقنية باستمرار؛ لتمكينها من مسايرة الثورة العلمية والتقنية الحديثة، وتبسيط قواعدها وتيسير تعلّمها، وإسناد تعليمها إلى أكفأ المعلمين، وتشجيع الترجمة منها وإليها، وتشجيع البحث العلمي في قضايا ومشكلات اللغة العربية، والمحافظة على نظامها الأساسي. إلى غير ذلك من الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية. ولعل أهم هذه الأهداف ما سبقت الإشارة إليها.

ب ـ الخصائص والصفات المرغوبة لثقافة المستقبل العربية:

وفي اعتقادنا أن جوهر ما يستهدفه الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية هو بناء ثقافة عربية لها من الخصائص والصفات ما يلائم طبيعة العصر في المستقبل ويتمشى مع ما يتوقع فيه من تغيرات وتطورات وتعقيدات.

ولذا نرى من واجبنا أن نردف حديثنا عن الأهداف العامة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية بالحديث عن أهم الخصائص والصفات التي ينبغي أن تتحلّى بها ثقافة المستقبل العربية. وفي اعتقادنا أن بيان ومناقشة هذه الخصائص والصفات هو مكمل وامتداد للحديث عن أهداف الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية.

ومن هذه الخصائص والصفات لثقافة المستقبل العربية المنشودة، تمكن الإشارة الموجزة إلى ما يلي:

1 ـ أن يتحقق في هذا الثقافة المستقبلية المنشودة التوازن بين الأصالة والحداثة، وبين تلبية مطالب الجسم والعقل ومطالب الوجدان والروح، وبين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، وبين تأكيد الخصوصية العربية والتعبير عنها، والتفتح على الثقافات الإنسانية العالمية والتفاعل معها والاستفادة منها وإفادتها.

إن ثقافة المستقبل العربية يجب أن تكون ثلاثية الأبعاد: ترتبط بتراث وتجارب الماضي للأمة العربية وبمبادىء وقِيَم وتعاليم وتوجيهات الدين الإسلامي، وتستند إلى إمكانات الحاضر وتتعامل مع أحداثه ووقائعه

وتعالج مشكلاته، وتتطلع إلى طموحات المستقبل وتعد نفسها لمتطلباته والتغيرات المتوقعة فيه.

2 ـ أن يتحقق في هذه الثقافة الاستجابة لحاجات الناس الأساسية ومطالبهم المشروعة وطموحاتهم الواقعية والمعقولة، وتأكيد كرامة الإنسان العربي، واحترام إرادته وحريته وتحريره من الفقر والجهل والمرض، والتجاوب مع طموحات الأمة العربية في الوحدة الشاملة والاستقلال الشامل والتنمية الشاملة، ومع قضايا الأمة العربية التي تأتي في مقدمتها قضية فلسطين وقضية الوحدة.

3 ـ أن ترفع هذه الثقافة من شأن العلم النافع باعتبارها أساس التقدم الحقيقي للأمة العربية وسبيلها إلى مواجهة تحديات ومتطلبات المستقبل، ومن شأن العقل والتفكير العلمي والبحث العلمي السليم في مواجهة وحل ما يواجه المجتمع العربي من مشكلات، ومن شأن الإبداع العلمي والأدبي والفني، وأن توازن في اهتمامها بين عنصر العقل وعنصر الروح وبين العلوم الإنسانية الاجتماعية والدينية، والعلوم الطبيعية الأساسية والعلوم العملية الهندسية والتقنية، وأن يتحقق في ظلّها تطوير أساليب وأدوات ووسائل البحث العلمي بجميع أنواعه، وتطوير اللغة العربية والتوسّع في اشتقاق وابتكار ما تحتويه من مصطلحات علمية وتقنية وفنية يحتاج إليها المجتمع العربي في حركته العلمية والبحثية والتقنية والفنية.

4 ـ أن يتم التركيز في هذه الثقافة على الجانب الروحي والديني في حياة الأمة العربية، وعلى التوازن المرغوب بين تربية الجسم والعقل وتربية الوجدان والروح والضمير، وبين القِيَم الروحية والدينية والقِيَم المادية، وعلى ضرورة الربط بين التقدّم العلمي والتقني والاقتصادي وبين القِيَم الروحية والدينية والخلقية الأصيلة، التي تعلي من شأن الإيمان بالله ومن شأن الأخلاق الفاضلة[10].

---

(10) ينظر: صبحي الصالح «القِيَم الإسلامية والتقدّم العلمي والتكنولوجي»، في: استراتيجية الثورة العلمية التكنولوجية العربية. (الجزء الثاني)، ص39 ـ 59.

5 ـ أن تكون هذه الثقافة ثقافة إنسانية، تؤكد إيمانها بالمبادىء والقِيَم الإنسانية، مثل تأكيدها وتقديرها كرامة الإنسان وحريته، ومبادىء الحق والعدل والمساواة والسَّلام العادل، والتسامح والتعاون والتعايش السلمي بين الشعوب، وتقدير المصالح المشتركة، والاحترام المتبادل بينها، والتفتح على الثقافات الأخرى والتواصل المتكافىء معها، وعلى التجارب العلمية والثقافية الناجحة في هذه الثقافات، وترفض كل ما يقابل هذه المبادىء والقِيَم الإيجابية من امتهان لكرامة الإنسان، واعتداء على حريته الشخصية، وظلم وقهر وطغيان، وتمييز بين البشر على أساس من العرق أَو اللون أَو اللغة أَو المعتقد السياسي، وتعصب وجمود وانغلاق، وما إِلى ذلك.

6 ـ أن تثور هذه الثقافة العربية المستقبلية المنشودة على الأوضاع الثقافية العربية الحاضرة المتخلفة، التي يظهر تخلّفها وضعفها وسوء أحوالها في جمودها وركودها وكسلها وهامشيتها وتبعيتها وسلبيتها أمام تحديات العصر، ووقوفها عاجزة أمام حملات التشويه والتشكيك في قيمتها من القوى الخارجية المعادية للعروبة والإسلام وللثقافة العربية الإسلامية، وأمام محاولات وآثار الغزو الثقافي والسلب الثقافي، وغلبة الطابع الاستهلاكي والنظري عليها، إِلى غير ذلك من مظاهر الضعف في الثقافة العربية الحاضرة التي لا بد لثقافة المستقبل العربية أن تتخلص منها إذا ما أرادت أن تعيش عصرها، وتسهم في تحقيق ما يصبو المجتمع العربي والأمة العربية إِلى تحقيقه في المستقبل.

ج ـ سبل ووسائل تحقيق الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية الأهداف المحددة له:

وفي سبيل تحقيق الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية الأهداف المحددة له، التي من بينها ما سبقت الإشارة إليها، وتحقيق ثقافة المستقبل العربية المرغوبة التي سبقت الإشارة أيضاً إِلى بعض خصائصها وصفاتها، هناك مجموعة من السُّبل والوسائل التي ينبغي للمجتمع العربي

وللقائمين على شؤون الثقافة وتنميتها أن يأخذوا بها، نذكر منها بإيجاز ـ على سبيل المثال ـ ما يلي:

1 ـ ربط فلسفة وأهداف ومناهج وبرامج وطرائق وأساليب التعليم العربي وخطط تنميته بفلسفة وأهداف وخطط ومشروعات تنمية الثقافة العربية، بحيث يكون الإيمان بأهمية الثقافة، وأهمية تنميتها، وأهمية تحقيق التوازن فيها بين الأصالة والحداثة، وبين القِيَم والجوانب المادية والقِيَم والجوانب الروحية فيها ـ مثلاً ـ ضمن المبادىء العامة التي تتكون منها فلسفة التعليم العربي. وبحيث تكون أهداف: تنمية وتطوير وتجديد الثقافة العربية، وتحقيق التوازن فيها بين الأصالة والحداثة وبين القِيَم المادية والقِيَم الروحية، والمحافظة على التراث الثقافي العربي الصالح، وتنقيته من شوائب ومظاهر النقص والضعف وإعداد المواطن العربي المثقف الواعي بمشكلات وقضايا مجتمعه وأمته والعصر الذي يعيش، والقادر على التأثير فيمن حوله، والملتزم دينياً وخلقياً في حياته ـ مثلاً ـ ضمن الأهداف العامة للتعليم العربي. وبحيث تربط مناهج وبرامج التعليم العربي بالحركة الثقافية في المجتمع العربي، وبالإنتاج الثقافي الجيد الهادف، المتمشي مع قِيَم الدين وقِيَم المجتمع العربي الأصيلة، والمتجاوب مع حاجات ومطالب وقضايا المجتمع العربي الحاضرة، ومع آماله وطموحاته المقبلة، ومع مطالب وروح العصر الحديث. وبحيث تطور طرائق وأساليب ووسائل وتقنيات وأدوات هذا التعليم بما يجعلها أكثر فاعلية في زيادة مشاركة الطالب في العملية التعليمية، وفي زيادة قدرته على الحوار والنقاش والنقد البنّاء وحل ما يواجهه من مشكلات بالطريقة العلمية السليمة، وزيادة قدرته على التعلّم الذاتي وعلى الإسهام في إنتاج الثقافة المتمشية مع استعداداته وميوله وقدراته ومواهبه وإمكاناته وظروفه المختلفة.

2 ـ تشجيع أعضاء هيئة التدريس والباحثين في مؤسسات التعليم العربي الجامعي والعالي وطلاب الدراسات العليا في هذه المؤسسات على الإسهام الفاعل في إنتاج الثقافة العربية، إبداعاً وتأليفاً وتحقيقاً وترجمة

ودراسة وبحثاً في مشكلاتها وقضاياها، وفي تنشيط الحركة الثقافية في المجتمع العربي بجميع جوانبها ومظاهرها، وتوفير ما يتطلبه هذا الإسهام من مناخ علمي ونفسي واجتماعي ملائم، وتقاليد جامعية أصيلة، ومن حوافز مادية ومعنوية تدفع أساتذة وباحثي وطلاب مؤسسات التعليم الجامعي والعالي العربي للإسهام في إنتاج الثقافة، وفي تنشيط الحركة الثقافية في مجتمعهم العربي.

3 ـ تدعيم التربية الدينية والخلقية بتطوير مناهجها وبرامجها، وحسن اختيار محتوياتها، وتطوير طرائق وأساليب ووسائل تدريسها، وإسناد تدريسها إلى أكفأ المعلمين وأقدرهم على إبراز معانيها وتحقيق أهدافها، وتوفير القدوة الصالحة لمن يتلقونها، وتوفير التوجيه الديني والخلقي السليم، وتوفير فرص التطبيق العملي أمام الطلاب لما تدعو إليه التربية الدينية والخلقية من عبادات ومبادىء وقِيَم وقواعد خلقية، وتحقيق مبدأ تكامل الخبرة الذي يقتضي أن تكون مسؤولية التربية الدينية والخلقية مسؤولية جميع المعلمين، وجميع من في المؤسسة التعليمية، وليست مسؤولية معلم التربية الدينية والخلقية وحده.

4 ـ تشجيع تكوين النوادي والجمعيات الطلابية العلمية والثقافية والفنية، وتدعيم ما تقوم به من نشاط علمي وثقافي وفني إضافي خارج نطاق الدراسة الصفية والنشاط الصفي، بتوفير التوجيه السليم لها، وتوفير المناخ العلمي والنفسي والاجتماعي المشجع على الإبداع العلمي والثقافي والفني، وتقديم ما يتطلبه نجاح النوادي والجمعيات الطلابية المدرسية في تحقيق أهدافها وغاياتها التربوية والعلمية والثقافية، من إمكانات بشرية ومادية.

5 ـ دفع المؤسسات التعليمية العربية على اختلاف مستوياتها ومراحل التعليم التي يتم فيها لفتح أبوابها في غير أوقات التعليم الرسمية أمام أفراد المجتمع، لمزاولة نشاطهم الرياضي والثقافي، ولمواصلة تعليمهم الحر وتدريبهم الفني والمهني أثناء الخدمة، ولتنظيم المسابقات العلمية والثقافية

لطلابها، وتنظيم المحاضرات العامة والندوات العلمية والثقافية لطلابها وجماهير المناطق التي تقع فيها، توسيعاً وتعميقاً لثقافتهم العامة وإعداداً لهم لثقافة الحاضر والمستقبل العربية.

6 ـ دعم مؤسسات وأجهزة التربية غير المقصودة من مساجد ومراكز رعاية الطفولة والشباب، ونواد رياضية وثقافية، وتنظيمات كشفية، وإذاعة مسموعة ومرئية، ومكتبات عامة ومسارح، وغيرها من مؤسسات وأجهزة وتنظيمات التربية غير المقصودة في المجتمع العربي، وزيادة الاستفادة منها في التوعية الثقافية، وتنشيط الحركة الثقافية، وفي الإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية وفق استراتيجية محددة وخطة مرسومة.

إلى غير ذلك من السُبل والوسائل الممكنة لتحقيق الأهداف المحددة للإعداد التربوي والروحي لثقافة المستقبل العربية.